دور التقنيات الجرافيكية في إبراز الخصائص الفنية والجمالية للخط العربي

د.صلاح الشاردة
كلية الفنون والإعلام، جامعة طرابلس

المقدمة:

الخط العربي هو رسم الحروف العربية رسماً جميلاً ، وإخراجها بصورة فنية رائعة يظهر فيها التناسق والتطابق والانسياب والتكامل ، وقد عرف القلقشندي في كتابه صبح الأعشى الخط بأنه : " ما نتعرف منه صورة الحروف المفردة ، وأوضاعها وكيفية تركيبها " وقد كان للأدباء والمؤرخين آراء كثيرة في الخط العربي ، وتعددت تعاريفه ومفاهيمه فقد عرفه الشيخ محمد الطاهر الكردي تعريفاً يرى المختصون أنه الأقرب إلى ذهن القارئ حيث يقول : " أن الخط ملكة تنضبط بها حركة الأنامل بالقلم على قواعد مخصوصة حيث يشمل جميع أنواع الخطوط العربية والأجنبية " وذكر العلامة الشيخ أحمد رضا نقلاً عن (إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد) عن أحد المتقدمين قوله أمن الخط علم تعرف فيه صور الحروف المفردة وأوضاعها ، وكيفية تركيبها خطاً ، وما يكتب منها في سطور ، وكيفية كتابته ، وإبدال ما يبدل منها في الهجاء وبماذا يبدل ، وعرف الشيخ أحمد رضا بأنه " رسوم وأشكال تدل على ما في النفس ، ولقد لوحظ أن أغلب من عرف الخط ربطه بالكتابة ، ويلاحظ أنه في تعريف الخط العربي قد ثم دمجه مع الكتابة دون تمييز سوى بالرسم وشكل الكلمة ، إن الخط العربي هو : " صناعة الخط ، وهو كذلك الرسم الذي يتضمن ستة أشكال مختلفة من الحروف العربية يحكم كل واحد منها قواعده وأسلوبه المتميز بالجمال والتكامل والتناسق والانسياب والمرونة والذي لا يتم إتقانه إلا بكثرة التدريب والممارسة .[1]

تعود جذور الخط العربي للكتابة النبطية تحسن خلال القرون ، ولكن لم تصل إلينا كتابات من زمن الجاهلية المتأخرة ، ومن المحتمل العثور على بعضها إذا أجريت حفريات في مكة وجبالها وضواحيها ، وقد ذكر صاحب الفهرست أنه كان في خزنة المأمون كتاب بخط عبد المطلب بن هاشم جد الرسول عليه السلام ، في جلد من أدم ، فيه ذكر دَيْن لعبد المطلب على أحد رجال

[1] ـ حمود جلوي المغري، نايف مشرف الهزاع ـ التجارب المعاصرة في الخط العربي، الكويت، 1997، ص 10.

اليمن ، ومعنى هذا أن كتابات الجاهلية قد بقيت وتوارثتها الأجيال اللاحقة حتى القرن الثالث الهجري على الأقل ، ولا مجال للشك في كتابة هذا الدَيْن ، فقد كانوا في الجاهلية يكتبون الديون والاحلاف والهدنة أي العهود والمواثيق ، وقد كانت الكتابة منتشرة في مكة قبل الإسلام لأنها كانت مركزاً تجارياً ، وكانت الحضارة فيها أوسع مما حولها ، ويذكر البلاذري أنه كان فيها سبعة عشر رجلاً يكتبون ، وكذلك كان فيها نساء كاتبات وعدد سبع نساء كن يكتبن ، أو يعرف القراءة ، والخط الذي كانوا يكتبون به قبل الإسلام هو الذي سماه النديم بالخط (المكي) ، فلما جاء الرسول اتخذ لنفسه بضعة كتاب منهم : علي بن أبي طالب ، وعثمان بن عفان ، وعمر بن الخطاب ، وأبوبكر الصديق ، وخالد بن العاص ، وحنظلة بن الربيع ، ويزيد بن أبي سفيان ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وأبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وكان زيد من الزم الناس لذلك ، ثم تلاه معاوية بعد الفتح فكانا ملازمين الكتابة بين يدي الرسول في الوحي وغير ذلك ، فكان أبي أول من كتب للرسول في المدينة بعد هجرته رسائله ، ، وكان آبي بن كعب إذا لم يحضر دعا رسول الله زيد بن ثابت فيكتب له، فهذان كانا يكتبان الوحي بين يديه ، ويكتبان كتبه للناس ، وروى الواقدي بأن عبد الله بن الأرقم الزهري كان من كتاب رسائل الرسول ، وأن علي بن أبي طالب كان يكتب عهود النبي إذا عهد وصلحه إذا أصلح . [2]

أنتشر الخط العربي في الأقطار التي فتحها العرب بعد ظهور الإسلام ، ولقد تطور الخط العربي على يد العرب إلى فن جميل احتل الصدارة بين الفنون الإسلامية والعربية ، وساعد على ذلك ما تمتاز به طبيعة الخط العربي وأشكال حروفه من الحيوية بفضل ما فيها من الموافقة والمرونة والمطاوعة ، وما فيها من قابلية المد والرجع والاستدارة والتزوية والتشابك والتداخل ، وما فيها من اختلاف الوصل والفصل ، مما هيأ لها فرص التطور والزخرفة بطرق وأساليب شتى ، وليس أدل على ما تحمله أشكال الحروف العربية من بذور الخصب والابتكار والتنوع من أن هذه الحروف كتبت بآلاف الهيئات بل أن حرف الهاء وحده قد ورد له مئات الأشكال المختلفة ، ولقد حظي الخط منذ البداية بإجلال العرب وتقديرهم له ، ولم يقف أعجاب المسلمين بالخط عند حد ما فيه من قيمة جمالية ، بل صار المسلمون ينظرون إلى الخط نظرة إكبار وتقدير ، ويتذوقونه بمتعة روحية ، ويمكن أن نشبه الخط في ذلك بالموسيقى والمسرح عند الغربيين : إذ أنهما نشآ وتطورا متصلين بعاطفة دينية ، ومن ثم صار لهما متعة روحية إلى جانب ما يبعثانه في النفس من لذة

[2] ـ صلاح الدين المنجد ـ دراسات في الخط العربي ـ دار الكتاب الجديد، بيروت، 1979، ص 23.

فنية ، وربما كان من أسباب العناية بالخط أيضا وتطويره نحو فن جميل هو ما شاع عند المسلمين في العصور الوسطى من تحريم الإسلام لتصوير الكائنات الحية ، ومن ثم لم يجد المسلمون إلا الخط العربي كمتنفس لهم ولمواهبهم الفنية يعوضهم عن التصوير و يغنيهم عن التعرض للسخط ، ولقد تميز الخط العربي كفن بطابع الأصالة : ذلك أنه نبع من روح عربية صرفة ، وتطور محتفظاً بخصائصه العربية ، وفي معظم الأحيان بمنأى عن التأثيرات الأجنبية وينظر العرب والمسلمون إلى الخط العربي كفن قائم بذاته فضلا عن إسهامه في تكوين الفنون الإسلامية الأخرى ، ولقد كان النموذج من الخط العربي يحتل مكان الصدارة كعمل فني بين المنتجات الفنية الأخرى ، وذلك بفضل ما فيه من قيم جمالية بحتة ، ولما يبعث في النفس من لذة فنية ومتعة روحية ، واستهوى الخط العربي الفنانين الأوروبيين فزخرفوا به منتجاتهم الفنية المختلفة ، كما حوروه إلى وحدات زخرفية ، وتأثروا به في تطوير بعض أشكال الحروف الأوروبية ، كما استوحوا منه بعض لوحاتهم ، وارتبط بالحفاوة بالخط الجميل تقدير الخطاطين وإجلالهم في المجتمع العربي والإسلامي ، ولقد تميز الخطاط العربي بيد قوية متزنة مطواعة وخيال خصب مبتكر ، وروح متحمسة ، وصبر ومثابرة على العمل ، يقوي كل ذلك إحساسه بقداسة عمله ، واعتزاز وفخر به ، وتشجيع من مجتمع يقبل إنتاجه ، ويقدر مجهوده ويتذوق فنه . [3]

مشكلة البحث:

يرى الباحث أن إلقاء الضوء على الخط العربي، وإبراز ما يحتوي من قيم فنية وجمالية تطورت على يد المجودين من أعلام الخطاطين العرب والعجم المسلمين ، والذين فتنوا بجمال وعراقة الخط العربي واستخدموه في مجالات عديدة سواء في الفنون الجميلة ، أو الفنون التطبيقية ، إلا أنه ظهر للباحث أن توظيف الخط العربي كقيمة جمالية وفنية في مجال الطباعة ومنذ أن أستخدمها العرب انحسرت في الجانب الوظيفي للمطبوعات والكتب فقط ولم تتعدى ذلك كفن قائم بذاته ، لذا تحددت مشكلة البحث في التساؤلات الآتية:

1 – لماذا أغفل الخط العربي ولم يستخدم في الفن الجرافيكي ومجالات الطباعة كعنصر فني وجمالي.

[3] ـ حسن الباشا موسوعة العمارة والأثار والفنون الإسلامية ـ المجلد الثالث، أوراق شرقية، بيروت ،1999، ص 160 ، 166.

2 – ماهي نظرة الفنانين التشكيليين العرب وغير العرب للخط العربي، وكيف تتم عملية التعريف به كعنصر تشكيلي إبداعي متنوع معاصر.

أهمية البحث:

يمكن تلخيص أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

1 – فتح المجال أمام فناني الجرافيك والطباعة التشكيلية بالتعريف بالخط العربي مما يساعد في توظيفه واستخدامه كعنصر تشكيلي فاعل ومهم يرفع من قيمة العمل الفني

2 –الدفاع عن الخط العربي كقيمة ثقافية من تلك القيم المكونة للهوية العربية والإسلامية.

3 . الدفع لإرساء بعض قواعد الخط العربي في فن الحفر والطباعة كعنصر تشكيلي هام يضفي طابع عربي إسلامي على العمل الفني.

أهداف البحث:

1 – التعرف على أهمية الخط العربي كعنصر فني تشكيلي يمكن توظيفه داخل العمل الفني الجرافيكي .

2 – التعرف على بعض التقنيات الخاصة بعملية الطباعة ومراحلها من خلال تنفيذ بعض الأعمال الموظف فيها الخط العربي كعنصر تشكيلي على يد متخصص في مجال الفن الجرافيكي.

3 . الكشف عن بعض التقنيات الجرافيكية التي قد يستعين بها الفنانين لإظهار القيم الفنية والجمالية في الخط العربي وتوظيفها في الإصدارات الفنية.

–3 منهجية البحث :

تتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي والتاريخي، وذلك من خلال وصف بعض اللوحات المنجزة والتي وظّف فيها الحرف العربي وتحليلها. إضافة الي المنهج التاريخي من خلال تتبع نصوص الخط العربي ولوحاتها تاريخياً.

حدود البحث :

عرض بعض الأعمال الجرافيكية المستخدم فيها الخط العربي " نموذجا ".

فروض البحث:

1– يفترض الباحث أن فن الجرافيك بتقنياته المركبة وأساليبه المتنوعة ، يمتلك القدرة على إبراز الخصائص الجمالية والفنية للخط العربي .

2- الحروفية Art Calligraphy في الفن التشكيلي واستخدام الحرف كعنصر تشكيلي قد تساعد في نشر الفن التشكيلي وإرساء القيم الجمالية داخل المجتمع.

3- الكشف عن كوامن القيم الجمالية في الخط العربي بأنواعه، يساعد الفنان الخطاط على الإبداع الفني

مصطلحات البحث:

- الخط العربي:

هو فن وتصميم الكتابة في مختلف اللغات التي تستعمل الحروف العربية. تتميز الكتابة العربية بكونها متصلة مما يجعلها قابلة لاكتساب أشكال هندسية مختلفة من خلال المد والرجع والاستدارة والتزوية والتشابك والتداخل والتركيب.[4]

- القلفونة / تقنية التغبير.
- الحروفية / لغة تعبيرية تبحث مفهوم الجمال المطلق وهى تيار تشكيلي معاصر استخدم الخط العربي في الأعمال الفنية.[5]

أنواع الخط العربي:

من المعروف تاريخياً أن الخط العربي قد أشتق من الخط المسند الحميري ، وأن أصل الخط من الحيرة وانتقل إلى الأنبار ثم أنتقل إلى الحجاز ، وأن ثلاثة رجال من بولان من طيء قاموا بوضع هجاء العربية على هجاء السريانية ، وأن بشر بن عبد الملك الكندي أخا الأكيدر صاحب دومة الجندل علّم أهل الحجاز الكتابة ، وأتخذ هذا الخط ، والخط المدني ، والخط المكي ، وكلها خطوط حذقها العرب قبل الإسلام اشتقوها من خط الأنباط ، وظهر الإسلام بعد الخط البصري ، والخط الكوفي اللذان حذقهما العرب ، ويصف إبن النديم الخطين المكي والمدني على أنهما خط واحد ويقول : " فأول الخطوط العربية الخط المكي ، وبعده الخط المدني (خط المدينة) ثم البصري ، ثم الكوفي " ، أما الخط البصري فليس هناك نماذج له يمكن التعرف من خلاله على صفته ، ولعله كان والخط الكوفي شيئاً واحداً ، لقرب ما بين الخطين من العهد والمكان ، لا فرق بينهما بدرجة الإجادة ، ولعله يرجع إلى التنافس العلمي بين الكوفة والبصرة ، فأصبحت هناك فروق من الناحية الفنية ، وهي فروق تجويد لا فروق خصائص ، ويلاحظ أن العرب سمت

[4] شبكة المعلومات الدولية (النت) موقع:
4216=https://www.arabiclanguageic.org/view_page.php?id
[5] شبكة المعلومات الدولية (النت) موقع: https://www.alkhaleej.ae/

الخطوط نسبة للمدن التي وردت منها وقد عرف العرب قبل الإسلام الخط (النبطي) ، الذي أتى بلاد العرب من ديار النبط ، مع التجارة التي كان القريشيون يمارسونها مع الأنباط ، كما عرف بالخط (الحيري) و (الأنباري) لأنه أتى الي الحجاز مع تجارة العراق ، وباستقرار الخط في مكة والمدينة عرف باسميهما (الخط المكي والمدني) ، ولما انتقل مركز النشاط السياسي إلى العراق في خلافة عمر وعلي ، انتقلت معه الخطوط المكية والمدنية إلى البصرة والكوفة ، وسمي بالخط (الكوفي) ، ومن الكوفة انتشر هذا الخط اليابس في أرجاء العالم الإسلامي ،كانتا المنطقتين غلب عليهما الجفاف في ذلك الزمن، كتب بهذا الخط المصاحف ، وتحلى به المباني ، وتدمغ به النقود ، وظل الخط الحجازي اللين في خدمة الدواوين لمرونته وسرعة كتابته ، واستخدمه الناس في أغراضهم اليومية فكتبت به الرسائل وصار خطاً للتوين والتأليف ، وظل الحال على هذا طيلة العصر الأموي ، وفي العصر العباسي تعددت الأقلام ، وأختص كل قلم بنوع من الكتابة فسميت الخطوط بمقاديرها : كالثلث والنصف والثلثين ، كما نسبت إلى الأغراض التي كانت تؤديها كـ (التوقيع) ، أو أضيفت إلى مخترعيها كـ (الرئاسي) ، أو بهيئتها كـ (المسلسل) . [6]

الخطوط العربية المستعملة في العصر الحديث:

اختصرت مجموعة الخطوط التي كتب بها العرب قديماً إلى عدد محدد من الخطوط وهي: خط الثلث، وخط النسخ، وخط الرقعة، الخط الفارسي، وخط الديواني، وخط التعليق ويسمى الإجازة وهو بين الثلث والنسخ، وخط الريحاني، والخط المغربي، والخط الكوفي. [7]

تشكيلية الكتابة الخطية العربية:

يعتبر الخط العربي فناً تشكيلياً جميلاً لما تتمتع به حروفه من قدرة على الصعود والنزول والانتصاب والانبساط والمرونة في تغيير أشكال الحروف نفسها ، ونظراً لصفاته الكامنة التي تتيح له التعبير عن الحركة والكتلة فينتج حركة ذاتية تجعل الخط يتراقص في كتلته في رونق مستقل محققاً إيقاعاً جميلاً وإحساساً بصرياً ونفسياً ويعتبر الخط من أبرز الفنون التشكيلية العربية والذي يتمتع بصفات خاصة تجعله متميزاً عن غيره من الفنون الأخرى ، وأهم هذه الصفات هي صفة التجريد في الحروف واستقلاليتها ، وهو الشيء الذي لا نراه في أي فن آخر ، ويقول الفنان

[6] ـ يحي وهيب الجبوري ـ الخط والكتابة في الحضارة العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص 117 .
[7] ـ المرجع نفسه، ص 193.

الأسباني بيكاسو : " إن أقصى نقطة أردت الوصول إليها في فن الرسم وجدت أن الخط العربي قد سبقني إليها من بعيد " ، وبما أننا عرفنا أن الخط العربي فن تشكيلي قائم بذاته ، فإن التشكيل من خواصه وقواعده ومقوماته ، وليس كل خط يمكننا أن نشكل به ، فمثلاً خط الرقعة يصعب التركيب والتشكيل فيه لما يحكمه من قواعد تحول دون تحقيق التركيب المرجو عمله منه ، وكذلك خط النسخ ، ولذلك فإن تراكم خبرات الخطاط وعمق نظرته واتساع معرفته وإطلاعه يمكنّه من التعرف على الخطوط التي لها قابلية التركيب والتشكيل . [8]

التحوير في الخط العربي:

لفظ التحوير في اللغة العربية كما يعرفه معجم دائرة المعارف القرن العشرين يعني : المراجعة والتعديل والحذف والإضافة ، ويعرف التحوير في الفن بأنه : أسلوب يستخدم عند التعبير عن موضوع ما ، فيطرأ عليه تغيير معين ، وكثيراً ما لا يكون مطابقاً في شكله لمظهره الطبيعي ، والتحوير هو الذي يحدد في النهاية أساليب الفنانين المختلفة ، كما يعرف التحوير في مجال الزخرفة بأنه : تعديل خطوط ونسب وعلاقات وألوان العناصر الطبيعية ، مع احتفاظه بخصائص ومميزات هذه العناصر بهدف إبداع شكل زخرفي يتصف بالتنسيق والعلاقات بين الخطوط والمساحات والأشكال ، وبفرض إنتاج عمل فني مبتكر ، أما التحوير في مجال الخط العربي " فتعني هذه الصفة الإبدال والتغيير في الأشكال المألوفة للحروف والكلمات ، وذلك باستلهام الأشكال الآدمية والحيوانية والنباتية والطيور والأشكال المعمارية ، وأشكال الجمادات في تحوير الحروف والكلمات ، وفيما يضاف إليها من أفرع نباتية وخطوط مجردة وعناصر أخرى ، بحيث تصير هذه الحروف والكلمات وحدات زخرفية كتابية تصويرية ، حيث يحور الفنان أشكال الكتابة العربية بأنماط خطوطها المختلفة التقليدية والحرة لإنتاج أشكال زخرفية وجمالية ، ومعتمداً على المقومات التشكيلية والجمالية للخط العربي ، ومن خلال إتباع الأساليب الفنية للخط العربي . [9]

استلهام الحرف العربي في الفن التشكيلي المعاصر:

إن في مكنون الحرف العربي روحاً جمالية لا تدركها إلا النفوس الولهى بهذا الجمال ، وتعتبر المهارة الفنية والموهبة المتأصلة هما أساس للصدق والتعبيري وسبيل للمعاناة الصادقة في صياغة الحروف وخط اللوحات ، لذلك فإن الخط العربي يحمل من التعبير ما يدهش به العاقل لحمله سراً

[8] ـ حمودي جلوي المغري ـ مرجع سابق، ص 31.

[9] ـ حسن حسن طه ـ قابلية التحوير كخاصية فنية في الخط العربي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية النوعية، جامعة طنطا، 2002، ص 76.

خفياً لا يتجلى في مظهره ، بل هو موجود في روحه التي يحملها ، وقد قالوا " إن الخط العربي أينما ظهر بهر " ، والفنان الموهوب هو الذي لا يكتفي بكتابة هذه الحروف مجردة من الروح بجوار بعضها بل يسعى جاهداً إلى افتعال نغمات فنية في لوحاته تثير مشاعر المتلقي ، وتجذب انتباهه ، ومما لا شك فيه أن ذوي الذوق الفني ، والحس المرهف لابد وأن يروا في الحرف العربي من تصور وتعبير دون غيرهم ، وتكمن داخل الحرف العربي طاقة انفعالية يودعها الخطاط بداخله ، ويشعر بفيضها كل من كان متفتح المشاعر، ثاقب المدارك والذهن ، والخطاط الموهوب يرى في الحرف العربي ما لا يراه الخطاط العادي وفي العصر الحديث عايش الفنان الفن الحديث والمعاصر فأكتشف في الحرف العربي المجرد حركة ديناميكية عجيبة ، وكانت تلك تجربة فنية رائدة ، إنها حصيلة مزج ما قام به الفنان بين الأصول التقليدية ، وفن الشكل الذي يعتمد على التعبير عن ذاته فظهرت صيغ جديدة جديرة بالفخر والإعجاب ، إنها صيغ حديثة في أسلوبها تواكب العصر ومتطلباته ، وتتميز بسرعة وحركة دائبة ، والخط عبارة عن شكل مرئي لا يحمل شيئاً واحداً فحسب ، وإنما يحمل كثيراً من الأشياء ، ويعني كثيراً من الأمور إنه يكون أكثر من مضمون وينطوي على أكثر من مفهوم ، وإذا كانت الفنون التشكيلية التجريدية تستدعي غالباً مستوى من المعرفة بأصولها والتدرب على تذوقها ، بحيث يتعذر على من يراها للمرة الأولى دون معرفة سابقة بمفاتيحها أن يكتشف عوالمها ، بالغم من اعتمادها أحياناً على عناصر حافزة للعين كالخطوط والألوان والكتل والخامات ، فالأمر ليس كذلك بالنسبة للحرف العربي فهو يقدم نفسه كياناً جاهزاً للتذوق والتأمل بدون أي من تلك الحوافز ، وتنساب عذوبته الداخلية من أول لقاء له مع العين خصوصاً إذا كان الخط من عطاء فنان موهوب . [10]

وتتسع قائمة الفنانين المستوحين للخط العربي لعشرات وعلى امتداد المشرق العربي والمغرب العربي ولكل منهم نزوعه لاستحداث خصوصية فيه وعبر تحولات ومحاولات مختلفة لا يستقر عليها إلا لفترة وجيزة ثم ينتقل منها ، حتى أصبح من الصعب جداً رصد تلك التحولات وتقويم أهميتها لسرعة ظهورها وسرعة اختفائها .[11] وقد الف شربل داغر كتاباً أسماه (الحروفية العربية) وتناول فيه التجارب التي قام بها مجموعة من الفنانين التشكيليين في محاولة منهم لإستلهام

[10] ـ محمد عبد الشافي ـ الحرف العربي في الفن المعاصر، مجلة المختار الإلكترونية، تصدر عن مجموعة الخطاطين البريدية، العدد الثاني، آب، ص 16.

[11] ـ بلند الحيدري ـ الحرف العربي في الفن التشكيلي، مجلة الوحدة، العدد17/70اغسطس ،1999، ص 28.

جماليات الحرف العربي وتوظيفه داخل اللوحة التشكيلية والتي أطُلق عليها إسم (اللوحة الحروفية).[12]

العلاقة التاريخية بين الحرف العربي وبين فن الحفر والطباعة:

إن فن الجرافيك في معناه العام هو قطع أو حفر أو معالجة الألواح المعدنية أو الخشبية أو الحجرية أو غيرها من تلك التي تستقبل الحفر عليها بهدف الوصول إلى أسطح مغطاة بالحبر قادرة على إعطاء أشكال وتأثيرات فنية تشكيلية مختلفة من خلال طباعتها، وفن الجرافيك يتميز بطبع العديد من النسخ للعمل الواحد وهو ما يسمح للفنان بأن ينشر عمله الفني على نطاق واسع، والجيد في الأمر أن جميع النسخ تكون متشابهة وليست متطابقة للعمل الواحد ، ويرجع ذلك لعدة أمور تقنية أثناء مرحلة وضع الحبر و الضغط على الورق .[13] ولقد نسب تاريخ الطباعة في بدايته للشرق الأقصى وبخاصة بعد اختراع الصينيون الورق ، فمن المعروف أن التقدم في صناعة الورق ساعد في تقدم الطباعة ، وقد بدأت الطباعة في الصين بطبع الألواح المحفورة حفراً بارزاً ويقال أن هذه الوسيلة قد استخدمت في الصين في حولي القرن الخامس والسادس بعد الميلاد ، وكانت المرحلة الأولى في الطباعة هي الطبع من قوالب خشبية wood cuts ، وليس من شك في أن الصين قد أخذت في تطوير أساليب الطبع من القوالب ولم يلبثوا وغيرهم من شعوب الشرق الأقصى مثل كوريا أن استخدموا في الطبع بالصفائح المعدنية Engraving ثم عرفت هذه الشعوب الطباعة بالتجميع Movable type ويبدو أم هذا الأسلوب استخدم مبكراً في كوريا قبل أوروبا ، ومن المعروف أن أول كتاب طبع في اليابان بطريقة التجميع يرجع إلى سنة 1596 م ، واستمر هذا الأسلوب مستخدماً في الصين حتى القرن التاسع عشر ، إلا أن التطور الحقيقي لفن الحفر والطباعة كان على يدي الغربيين الذين تأثروا في أول الأمر بالأحفار الخشبية التي وصلتهم من الشرق الأقصى .[14] ثم إنهم سرعان ما عملوا على تطوير أساليب الطباعة نفسها حتى توصلوا إلى الطباعة بطريقة تجميع الحروف ، وكان لانتشار الورق وصناعته في أوروبا أثر كبير في اختراع الطباعة ، وقد عرفت أوروبا صناعة الورق منذ أواخر القرن الثالث عشر ولذا فلا عجب أن نرى أوروبا تمارس الطباعة بالقوالب الخشبية منذ القرن الرابع عشر ، وكان الطبع يتم باللونين الأبيض والأسود ، ومنذ القرن الخامس عشر استخدمت الطباعة بالصفائح المعدنية واستخدمت في

[12] ـ شربل داغر ـ الحروفية العربية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، 1990 ص 49.
[13] ـ آلاء نجم ـ www. Fenon .com
[14] ـ حسن الباشا ـ مرجع سابق، المجلد الثاني، ص 355 .

طبع لوحات الصور والأوراق المفردة وبطاقات اللهب والكتب ، وتطورت حتى صار في الإمكان طبع صور ملونة وظهرت الحروف العربية المطبوعة لأول مرة في سنة 1486 م وذلك في طبعة لكتاب (برنارد ده برايدنباخ) الذي كتبه باللاتينية ووصف فيه رحلة إلى الأراضي المقدسة ، وظهر فيه أول أبجدية عربية كاملة مع طريقة النطق بها في حروف لاتينية ولم يحتوي الكتاب على أي نص مؤلف من جمل عربية ، وقد طبع هذا الكتاب كاهن دومينكي اسمه (مارتان روث) بمدينة مينز ، ولما أراد (فرديناند وإزابيلا) ملكا أسبانيا أن يتيحا للأندلسيين المسلمين الارتداد إلى المسيحية كلف الملك جماعة من المبشرين القيام بالتبشير فاستدعى المطران (فردناد دي تالافيرا) رجلاً اسمه (خوان فاليرا) وكلفه بطبع كتابين للمبشرين الذين يجهلون العربية وقد صدرا في غرناطة سنة 1505 م ، وكان عنوان الأول " وسائل تعلم قراءة اللغة العربية ومعرفتها " ، وعنوان الثاني " معجم عربي " وكان بحروف قشتالية ، وفي سنة 1516 صدر في باولي بجنوه كتاب المزامير بخمس لغات هي : العربية والكلدانية واليونانية واللاتينية والعبرية ، وفي سنة 1591 م طبع في مطبعة (آل مديتشي) أول مطبوع عربي مصور كان يعتبر تحفة الطباعة العربية في القرن 16 وهو كتاب الأنجيل ، ومنذ القرن السابع عشر دخلت الطباعة البلاد العربية فعرفت لبنان الطباعة سنة 1610 م بفضل رهبان دير قزحيا ، وفي سنة 1716 أفتى شيخ الإسلام يتركيا عبد الله أفندي بجواز استخدام الطباعة في نشر الكتب ، وأول كتاب اخرجته المطبعة التركية ترجمة " قاموس وانقولي " سنة 1728 م إلى اللغة التركية ، وفي القرن الثامن عشر دخلت المطابع البلاد العربية ببيروت وحلب ودمشق ، وعرفت مصر الطباعة أثناء الحملة الفرنسية فيما بين سنتي 1798 و 1801 : إذ زود " نابليون " حملته بمطابع جهزها بحروف عربية وفرنسية ويونانية ، وأسس " محمد علي " مطبعة بولاق سنة 1819 م وفي سنة 1828 م طبعت " الوقائع المصرية " ثم تأسس عدد من المطابع الصغيرة ، وفي القرن التاسع عشر دخلت المطابع العراق وفلسطين واليمن والحجاز ، وفي سنة 1922 دخلت المطابع الأردن ، وفي سنة 1947 دخلت الكويت . [15]

وظهرت الطباعة في ليبيا منذ العهد العثماني الثاني حيث تأسست أول مطبعة حجرية عام 1859 م وكان مقرها في السريا الحمراء ، غير أن هذه المطبعة لم تف بالأغراض المطبعية اللازمة فأصدر الوالي العثماني (محمد نديم باشا) أمراً بتطوير تلك المطبعة وذلك عام 1866 م

[15] ـ المرجع السابق، المجلد الثاني، ص 357 .

، وفي عام 1903 نقلت مطبعة (الولاية) من مقرها السابق إلى (مدرسة الفنون والصنائع) حيث كان الطلبة في هذه المدرسة يتدربون على مختلف الفنون ومن بينها فن الطباعة . [16]

تقنيات الحفر والطباعة:

يتمتع فن الحفر والطباعة دون غيره من التخصصات أو المجالات الأخرى في الفنون التشكيلية باستخدامه لعدة تقنيات يستعملها الفنان خلال تجاربه على أسطح الطباعة المختلفة كالجص والخشب والمطاط والمعادن المتنوعة كالزنك والنحاس وخاصة باستعمال الأحماض المباشرة الخفيفة منها والقوية التركيز حسب ما يقتضيه الموضوع المطلوب تنفيذه سواء كان بدرجة لون أحادي كالأسود أو كمجموعة ألوان لإظهار العمل الفني، والذي لا يختلف تماماً عن اللوحة المائية أو الزيتية . [17]

فن الجرافيك ينقسم إلى قسمين:

1 . الطباعة البارزة:

وتستخدم عادة لطبع اللوحات الفنية والكتب والجرائد والمجلات وغيرها من المطبوعات، ويقوم الفنان أو الخطاط بالرسم أو الكتابة على سطح الخامة سواء كانت من الجص أو الخشب أو المطاط أو حتى المعدن ، حيث يقوم بواسطة أدوات الحفر المناسبة للخامة بإزالة المساحات التي لا يرغب في ترك أثرها على الورق حيث أن الأجزاء البارزة وحدها هي التي تستقبل الحبر على سطحها والتي تطبع بدورها على سطح الورق الرطب .

2 . الطباعة الغائرة:

وتنقسم الطباعة الغائرة أو العميقة إلى تقنيتين:

أ . تقنية الحفر المباشر (الجافة) ، و تستخدم هذه التقنية عادة أثناء العمل على أسطح المعادن كالزنك والنحاس والألمونيوم والحديد والنحاس الأصفر ، حيث تستخدم الإبر الحادة المختلفة المقاس ، وكذلك الأزاميل المتعددة الأشكال ، ويقوم الفنان بحفر الرسم أو الكتابة حفراً غائراً على لوح معدني أو بلاستيكي قاس بشكل مقلوب ، وإحداث خطوط وأخاديد يمكن لها أن

---

[16] - - كريم احمد الفراجي ،الطباعة واثرها في ظهور الحرف وتطورها، مجلة فنون واعلام، طرابلس، العدد الأول ، 2009
ص 199 .

[17]- Maria Grazia Massafra,Arte e tecnica dell'incisione, Roma Palombi .47, stampa, 1999 pa

تلتقط الحبر عند عملية الطباعة وذلك بتمرير لوح الطباعة على المكبس بضغط يتناسب مع طبيعة الخامة ونوع الورق ، وتتنوع طريقة الحفر المباشر والعميق على أسطح المعادن . [18] وتتنوع طريقة الرسم والخط على أسطح المعادن بالطريقة الجافة سواء بالتهشير واحداث خطوط مستقيمة ومائلة ومنحنية الخ أو بطريق الفنان (اوجو دا كاربي) الذي كان له الفضل في ابتكار تقنية الرسم على الأسطح المعدنية لألواح الطباعة والتي أطلق عليها سنة 1516 م اسم chiaroscuro ، ويعرف المصطلح عند العرب بالنقش المنقط ، حيث يرسم الفنان العمل الفني المطلوب طباعته على اللوح المعدني والنقش عليه بطريقة التنقيط المتقارب تارة ، وأخرى متباعدة لإظهار درجات الأبيض والأسود فقط . [19]

ب . تقنية الحفر بواسطة الأحماض:

يستخدم الفنان الأحماض في عملية الحفر كوسط للتفاعل الكيميائي ، ويستخدم الورنيش كواق من تأثير الأحماض ، وهو مادة عازلة تعمل على حماية سطح المعدن من التفاعل مع الأحماض ، ويمكن الحصول عليه بشكل جاهز أو يحضر ذاتياً من الشمع العسلي والمصطكة والحمر ، ويضاف إلى هذه المواد القلفونة وصمغ العنبر وزيت البارفين وشحم البقر أو الخراف ، والذي تطلى به الصفائح المعدة لأستقبال أنواع الحفر المختلفة ، وبعد تغطية سطح المعدن بالورنيش ينقل عليه الخط أو الحرف أو الرسم مباشرة بواسطة قلم رصاص أو باستيل ، وبشكل مقلوب ومن بعدها يتم المرور بإبرة حادة على خطوط قلم الرصاص المرسومة وذلك لإزالة طبقة الورنيش من على المعدن كاشفة سطحه ليتفاعل مع الحامض وعادة ما يستعمل حامض (النتريك) المركز ، ويتم تخفيف الحامض بحدود BE 10 وتعني درجة كثافة السوائل أي بنسبة (5.1) وهذا يعني جزء واحد من الحامض مقابل خمسة أجزاء من الماء ، وتختلف نسبة تركيز الحامض بحسب نوع صفيحة المعدن المستعملة ، فمن المعروف أن صفائح الزنك تتأثر بدرجة أسرع وأكبر من صفائح النحاس ، وتستخدم أنواع أخرى من الأحماض في عملية الحفر والتآكل كاكلوريد الحديد أو الحامض الهولندي وهو المكون من كلورات البوتاسيوم وكلور الصوديوم وحامض كلور الماء

[18] - يحي صالح قنجور - تقنيات فن الحفر والطباعة، فنون واعلام، العدد الثاني والثالث، السنة الأولى، 2010، ص 458 .

[19] - Gianni Carlo Sciollo, Studiare l'Arte (metodo , analisi, e interpretazione della opere e degli artisti, seconda edizione , UTET università(Torino),2010,Novara.pa 32.

بالإضافة إلى الماء النقي ، ولكل فنان طريقته الخاصة وتفضيله لمعادن ومواد وأحماض بعينها في عملية الحفر والطباعة ، وهو ما يخلق التنوع في الأعمال الفنية بين الفنانين . [20]

إن طرق الحفر والطباعة متنوعة وكثيرة حيث يصعب المجال لذكرها كلها ، حيث يعد (الحفر) جزء من هذه التقنيات ، ولكن بشكل عام وموجز نجد أن تقنيات الحفر المتنوعة تشمل أيضاً الحفر بتقنية (صبغة الماء) وتقنية (الحمر) وتقنية (الملح) وتقنية (ورق الزجاج) وتقنية (الرمل) وأيضاً تقنية الحفر (بالسكر) وتقنية (الطريقة السوداء) وتقنية (القلفونة) . [21]

عند الانتهاء من إعداد الصفيحة المعدنية ونقل عناصر العناصر المكونة للعمل الفني وحفرها بالتقنية المناسبة للعمل الفني يأتي دور الطباعة ، وعملية الطباعة تعد من المراحل النهائية لإظهار العمل الفني وهنا تبرز مدى براعة وحرفية الفنان المتمكن من أدواته والعارف لخفايا وأسرار هذا الفن ، ويرى الباحثان إثراءً لهذا البحث أن يقدما عملين فنيين كمثالين لدور التقنيات الجرافيكية في إبراز الخصائص الفنية والجمالية للخط العربي ، الأول بتقنية الطبع بلون (أحادي) ، والعمل الثاني وهو منفذ بتقنية الطبع (الملون) مع الشرح لخطوات التنفيذ ، و يتضمنا بعضاً من الحروف والخطوط العربية بأسلوب (التيار الحروف العربي المعاصر) .

تحليل لوحتين كنموذجين من الأعمال الفنية للحروفية العربية:

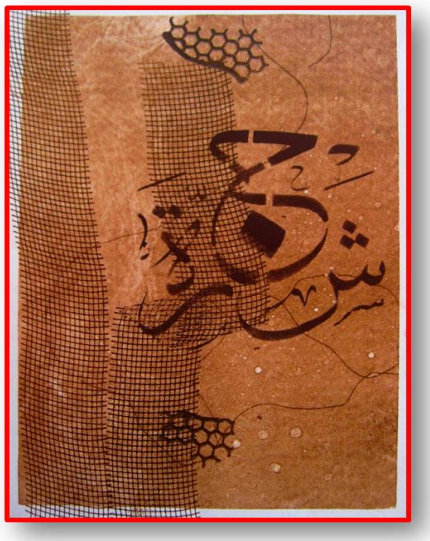

اللوحة الأولى -

[20] يحي صالح فنجور، مرجع سابق، ص 460 .

[21] - 75 L’acquatinta e le tecniche , Michele cordaro ,newton compton editori ,2010.pa

الطباعة بلون واحد:

عرف فن الحفر والطباعة منذ القدم باستخدام لون واحد هو الأسود والتدرج نحو الأبيض ، وعادة ما يكون لون الورق ، مروراً بالرماديات المتأتية من كثافة الحبر وتوزعه على سطح الورق الأبيض ، وفي هذا العمل الفني وظفت حروف (خط الثلث) لتكون مع عدد من العناصر التشكيلية الأخرى لوحة حروفية أظهر فيها الفنان بواسطة تقنية الحفر والطباعة تأثيرات متنوعة لبعض الملامس الطبيعية وكانت مراحل العمل كالآتي :

حيث قام الفنان باختيار نوع من الخطوط العربية وتمثل في هذه اللوحة في خط الثلث وبكتابة حروف الشين والجيم والراء والتاء بشكل مفرد وتركيبهم بشكل يتماشى والعناصر الأخرى المكونة للعمل الفني ، ومن ثم نقل الرسم على سطح الصفيحة بشكل مقلوب ، واستخدام الإبرة الحادة والأحماض لتنفيذ العمل ، وبعد توزيع الحبر على سطح الزنكة ، تم تمديد الحبر بتسخين الصفيحة على نار هادئة وبعدها فرش الحبر باستخدام الحبارة لتقوم بتوزيع الحبر على سطح المعدن بالتساوي ، وبعد ذلك تم التأكد من أن الزنكة قد غطت بشكل كامل يتم العمل على إزاحة الحبر الزائد بتنظيفه بواسطة قماش الشاش الخشن ، ويراعى التنظيف بحذر وذلك بسبب الحبر الذي يكون قريباً من السح ويمكن إزالته بسهولة وبعد تجهيزه لسطح المعدن لعملية الطباعة بواسطة المكبس تبعاً لمقدار درجة سمك السطح ودرجة تحمله للضغط عليه تم بعد ذلك تحريك الذراع الدوارة للمكبس والتي بدورها تحرك أسطوانتي المكبس فتدفعان الطاولة المحصورة بينهما ، والتي توضع على سطحها صفيحة الزنك أو أي معدن قابل للحفر والطباعة ، وتم الحصول على هذا العمل الفني المستلهم والموظف لحروف من الخط العربي .

اللوحة الثانية

. الطباعة بالألوان:

لإضفاء صبغة جمالية على اللوحة الفنية المستلهمة للحرف العربي والمتمثلة في هذه اللوحة توظيف الخط الفارسي (التعليق) قام الباحث بتوظيف اللون كقيمة داخل هذه اللوحة ولإثرائها بواسطة استخدام تقنية الطباعة الملونة وخاصة لإبراز الخط بألوان باردة من تدرجات الأزرق ، لخلق تضاد لوني مع الخلفية التي غلبت عليها الألوان الحارة كالأحمر والأصفر ، وذلك لفصل الكتابة عن الخلفية ، وللحصول على طبعة ملونة أتبع الباحث نفس الخطوات السابقة في رسم وحفر العمل الفني على سطح المعدن ، ولكن هذه المرة باستخدام أكثر من صفيحة معدنية لرسماً وتكويناً متطابقاً تماماً ، وتمثل كل صفيحة معدنية لوناً منفرداً ، وعند عملية الطبع المتتالي للنسخ الملونة تتطابق الألوان المستعملة لتعطي عملاً واحداً مطبوعاً وملوناً .

ينصح الباحث عند استخدام الطباعة الملونة أن تستخدم صفائح النحاس ، وذلك لقابليتها لجميع تقنيات الحفر ابتداءً من الحفر المباشر بالإبرة الحادة إلى الحفر بتأثير الأحماض ، واستخدمت في هذه اللوحة تقنية التغبير (القلفونة) وذلك لإعطاء مجموعة من القيم اللونية المتدرجة ، والألوان التي تستخدم عادة في عملية الطبع تنحصر في اللون الأحمر والأصفر والأزرق بالإضافة للأسود وينتج عنها ألوان أخرى إضافية مركبة يمكن التحكم في تدرجاتها بواسطة تركيز اللون ومهارة الفنان .

النتائج:

. إن للخطوط العربية قيم فنية وجمالية لا حصر لها وهي مطواعة ومتقبلة لجميع تقنيات الفنون التشكيلية ومنها فن الحفر والطباعة، فصرامة الخط العربي وقوة حضوره ونسبه التي أخذت شكلها النهائي عبر العصور على أيدي خطاطين مهرة حيث أصبح لها القدرة كعنصر تشكيلي على الانصهار داخل بوتقة اللوحة مع العناصر التشكيلية الأخرى لتظهر للعيان على شكل منجز فني على أيدي فنانين مهرة لهم دراية وخبرة بأسرار وتقنيات هذا الفن الجميل.

. الفن التشكيلي في ليبيا، ومجال الحفر والطباعة تحديدا له القدرة في إبراز الخط العربي كعنصر تشكيلي حروفي يحتوي على قيم فنية وجمالية عالية.

التوصيات:

1- يوصي الباحث العمل على إصدار كتيب يحتوي على أعمل وتجارب الفنانين التشكيليين الجرافيكيين ، وعرض تقنياتهم الفنية المستخدمة .

2- فتح المجال أمام الفنانين المبتدئين والدارسين لفن الحفر والطباعة لإستخدام الخط العربي واستلهام جمالياته وتوظيفها داخل اللوحة الجرافيكية مما يساهم في إضفاء الطابع المحلي والعربي والإسلامي على أعمالهم الفنية.

المراجع:

أولاً / المراجع العربية:

1-آلاء نجم . www. Fenon .com

2-بلند الحيدري . الحرف العربي في الفن التشكيلي ، مجلة الوحدة ، العدد17/70اغسطس ،1999.

3-حسن الباشا موسوعة العمارة وآلاثار والفنون الإسلامية . المجلد الثالث ، أوراق شرقية ،بيروت ،1999 .

4-حسن حسن طه . قابلية التحوير كخاصية فنية في الخط العربي ، رسالة ماجستير ، كلية التربية النوعية ، جامعة طنطا ، 2002 .

5-حمود جلوي المغري، نايف مشرف الهزاع . التجارب المعاصرة في الخط العربي الكويت ، 1997.

6-شربل داغر . الحروفية العربية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت ، 1990.

7-صلاح الدين المنجد . دراسات في الخط العربي . دار الكتاب الجديد ، بيروت ، 1979 .

8-كريم احمد الفراجي . الطباعة واثرها في ظهور الحف وتطولرها ، مجلة فنون واعلام طرابلس ، العدد الأول ، 2009 .

9-محمد عبد الشافي . الحرف العربي في الفن المعاصر، مجلة المختار الألكترونية ، تصدر عن مجموعة الخطاطين البريدية ، العدد الثاني ، آب .

10-يحي صالح قنجور . تقنيات فن الحفر والطباعة، فنون واعلام، العدد الثاني والثالث السنةالأولى ، 2010.

11-يحي وهيب الجبوري . الخط والكتابة في الحضارة العربية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994.

ثانياً / المراجع الأجنبية :

,1- Arte e tecnica dell'incisione Roma Palombi Maria Grazia Massafra stampa, 1999.

2 - Gianni Carlo Sciollo, Studiare l'Arte (metodo , analisi, e interpretazione della opere e degli artisti, seconda edizione , UTET università(Torino),2010,Novara

3 - L'acquatinta e le tecniche , Michele cordaro ,newton compton editori ,2010.